Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الوقت فأقدم على هذا الحكم انقياداً للظن واستنامة إلى ما يغلب على النفس . فاما اليقين الثقة والعلم والإحاطة فمعاذ الله أن ادعيه ولو ادعيته لوجب أن لا تقبله مع علمك بكثرة الشعراء واختلاف الحظوظ وخمول أكثر ما قيل وضياع جل ما نقل . وأظنك قد سمعت أو انتهى اليك أن البحتري أسقط خمسمائة شاعر في عصره فما يؤمنني من وقوع بعض أشعارهم إلى غيري ؟ وما يدريني ما فيها ؟ وهل هذا هو المستغرب المستحسن منقول عنها ومقتبس منها ؟ وهؤلاء المحدثون الذين شاركونا في الدار والبلد وجاورونا في العصر والمولد فكيف بمن بعد عهده وقدم زمانه وتناسخت الأمم بيننا وبينه » (١) . وبعد أن تحدث عن ضياع كثير من الشعر واختلاف نسبته وما وقع فيه من اضطراب قال : « فاذا كان هذا الشعر عندهم اليوم ، وهذه عدة من يقرض منهم وينظم ، واللغة فاسدة واللسان مدخول والأمر مدبر وأكثر العرب مستعجم ، فما ظنك بهم والعرب عرب والدار خالصة لهم والحضر بعيد منهم وأسباب الفساد منقطعة عنهم ؟ وهل يمكن مع هذه الأحوال إحصاء المقرر المتوسع فضلاً عن المقل المتطرف ؟ افتستجيز لي على ما تراه ان أتسرع ولا أتحرز وأعجل ولا اتلبث ؟ كلا بل أفصل لك بين المراتب والمقادم وأعزل لك المقدم عن المؤخر ، وأميز ما يقرب عندي في الإبداع عما أشهد عليه بالأخذ . فإن الحقت به المأخوذ المسترق فلبعض الأغراض المتقدمة أو لزيادة فيه مستحسنة فاسلم من تورط المسترسل ولا أقف موقف المتكلف » .

هذا موقف القاضي من النقد والشعراء وهو يختلف كل الاختلاف عن موقف الآخرين الذين طعنوا في المتنبي وشعره وظهر التعصب عليهم واضحاً في كتبهم وأحكامهم . فالحاتمي يصرح أن الوزير المهلبي هو الذي حرضه على مهاجمة المتنبي ، ويقول : « سامني هتك حريمه وتمزيق أديمه ووكلني بتتبع عواره وتصفح أشعاره وأحواجه إلى مفارقة العراق » (٢) . ويظهر علمه وقدرته على النقد والجدل ويتطاول على المتنبي وغيره . والفرق كبير بين هذه الروح ومـا اتسم به القاضي

(١) الوساطة ص ١٦٠ .
(٢) الموضحة ص ٣ .